

الروائي المصري شكري عز الدين فشير لـ "وقت الجزائر":

"لا أحب المجالس، وأقلق من الإجماع، وأقدر العزلة وأحتاجها"

يحمل الروائي المصري عز الدين شكري فشير الكثير من الملامح الخاصة به، فهو رجل يجمع بين الأكاديمي الذي يدرس بالجامعة الأمريكية في القاهرة، وبين الدبلوماسي الذي مارس عمله خارج مصر في أكثر من مكان لعل أبرزها إسرائيل، وهو الروائي الذي حظ على المشهد الروائي المصري دون أي تنبيه، صدر لفشير "غرفة العناية المركزة"، "مقتل فخر الدين"، "أسفار الضرايين" والرواية التي رشحت أخيراً للقائمة الطويلة للبوكر "عناق عند جسر بروكلين". في حوار هذا يبدو متفاناً بالجيل الثقافي الجديد في مصر، ورغم أنه يدعو إلى عدم تعجيل التغيير الذي قد يستمر - حسبه - سنوات، إلا أنه تعجل في ترك منصبه كأمين عام للمجلس الأعلى للثقافة لصالح مقعد الكتابة، فشير يؤكد أن العمل في إسرائيل تجربة تحتاج إلى التأليف ولا تكفيها عجلة للوصف.

حاوره: إسماعيل بيرير

● "وقت الجزائر": هل تأمل في التغيير الثقافي بعد ثورة الشعب في مصر؟

عز الدين شكري: التغيير الثقافي بدأ ولم ينته، وما ثورة الشعب إلا بداية ثماره. هناك ما يمكن تسميته بجيل ثقافي جديد يتبلور في مصر، ليس بالمعنى العمري بقدر ما هو بمعنى شمول التغيير للأسس الأعمق للثقافة: القيم والمبادئ والنظرة للعالم وللنفس. الثقافة المصرية الوليدة، في ظني، تتجاوز الشائيات القديمة بين الشرق والغرب، بين الحداثة والتقليد، بين الرجل والمرأة، بين السلطة والخضوع، وتتجاوز الأطر القديمة للتفكير والاتصال، وتنتظر للوقت نظرة جديدة، وعينها على الإنجاز أكثر من الكلام، ولديها ثقة بنفسها وطموحات لا حدود لها. هذه الثقافة الجديدة هي التي لفظت استبداد النظام القديم وشعرت بقدرتها على الإطاحة به (بدلاً من التفكير القديم الذي لا يثق بقدرته على الفعل ويستمرئ شعور الضحية). هذه الثقافة الجديدة هي التي خلقت أطر جديدة للاتصال والتنظيم والنزاهة لم يعرفها الشارع المصري إلا خلال السنوات الأخيرة. هذا هو التغيير الأعمق في مصر، وهو تغيير لا نرى إلا بداياته، لكنه سيغير في طريقه كل النظم والأطر القائمة، سياسية واجتماعية وفكرية.

● أي طريق، برأيك، ستسلك للدبلوماسية المصرية بعد مبارك؟

مثل كل شيء في مصر، السياسة الخارجية المصرية ستتغير بشكل جذري، لكن الأمر سيأخذ بعض الوقت. الانتقال السياسي دائماً ما يستغرق سنوات عديدة، والتحول السياسي الكبير لا تفرز نتائجها النهائية دفعة واحدة. لذا علينا ألا نتعجل الحكم على مدى التغيير خلال الشهور بل والسنوات الأولى.

● ما الذي يستشفه المثقف العربي من زيارة لإسرائيل؟

لست متأكدًا من فهمي للسؤال. أنا شخصياً لم أزر إسرائيل، بل عملت وعشت فيها خمس سنوات كاملة، كدبلوماسي وليس ككاتب. والحقيقة أنني لم أكتب كلمة واحدة خلال هذه الفترة، وظلت روايتي "غرفة العناية المركزة"، التي كنت قد بدأتها قبل ذلك مفتوحة، معلقة في الهواء، وذلك حتى تركت الدبلوماسية وتفرغت للكتابة والتدريس. في تجربتي الشخصية وجدت تناقضاً بين العمل الدبلوماسي - القائم على احترام قيود الواقع ومحاوله تجييشها لصالحك - وبين الكتابة التي هي بالأساس عمل حرة، بما في ذلك إزاء الواقع بل وضده. ومن ثم لم أستطع الجمع بين الاثنين وكان علي أن أختار. أما ما استخلصته من عملي وإقامتي



الروائي المصري عز الدين شكري فشير

عند هذا الحد. الباقي مهمة القارئ وربما الناقد.

● هل كنت تسعى وراء رواية مصالحة بين الأمريكيين والعرب؟

لا، ولا أظن أن الرواية أداة سياسية أو حتى فكرية. الرواية بالنسبة لي عمل

شخص في الحياة، وجزء من نضج الإنسان وأحد مفاتيح سعادته أن يعثر على الدور الذي يحبه ويتمسك به، مهما كانت إغراءات الأدوار الأخرى.

● تبدو "عناق عند جسر بروكلين" كأنها متتالية سير تتقاطع، هل كانت كتابتها أسهل من سابقتها؟

الكتابة الأولى، المسودة الأولى، كانت أسرع في الاكتمال، لكن بسبب التقاطع والتتالي والتوازي والارتباط الذي يجمع كل خيوط الرواية، فإن العمل فيها كان أصعب. فكل تغيير كان يستتبعه تغييرات في الفصول الأخرى، وتحتاج لحرص شديد لأن أبسط تغيير - بتبعاته - يمكن أن يؤدي لتغيير كنه الرواية كلها، وبالتالي كان علي أن أكتب فيها أكثر من روايات أخرى. وتكتمل الرواية، تظن أنها اكتملت، لكنك تشعر في قرارة نفسك أن بها شيئاً ناقصاً، فتعاود قرائتها ثم تبدأ في التغيير، ولا تدري أين أو متى ستتوقف، أو إن كنت ستتوقف. ثم تأتيك دفقة أخرى من النشاط وتعمل على الرواية حتى تهيتها وتعلم هذه المرة أنها قد انتهت، فتعطيها للناس. هذا ما حدث. استغرقت كتابتها سنة ونصف.

● كأنك أردت أن تقول في روايتك الأخيرة بأن هواجس الحياة في أمريكا لا تختلف كثيراً عنها في مصر أو أي بلاد عربية؟

ما أردت قوله قلته في الرواية، وانتهى دوري

نفسى ممتلئة بأفكار وهواجس وأشباح صغيرة تحاول الخروج

كدبلوماسي في فلسطين وإسرائيل فهو كثير ومعقد، ويحتاج لكتاب كامل لشرحه، على الأقل. لكني أتمنى أن أكون قد قدمت بعض العون وبعض الفائدة من خلال هذا العمل.

● استقلت بعد أربعة أشهر من منصب يمكنك من خدمة الثقافة، فضلت مقعد الكتابة أم كنت تخشى ثورة لو فضلت؟

فضلت مقعد الكتابة كما قلت آنذاك، وكما فعلت قبل ذلك بأربع سنوات حين تركت العمل في وزارة الخارجية، لا أخشى الثورة بل أتبناها، وفي رأيي أن مشكلة العمل الحكومي أن الثورة لم تمتد لمؤسساته بعد. المؤسسات الحكومية تحتاج لتغيير شامل وجذري: أي لثورة، لا يمكنك أن تستخدم نفس الأدوات، بنفس القوانين، وتأتي بنتيجة مختلفة. لكن حتى لو توفرت تلك الظروف فإني أفضل مقعد الكتابة عن مقعد السلطة. هناك أدوار عديدة لكل

هناك جيل ثقافي جديد يتبلور في مصر

فني بالأساس، مثل النحت والموسيقى والسينما، يقتطع من الحياة فصولاً ومشاهد ومقاطع ويقلبها في حواس القارئ وخياله، فبإيه تعقيدات الحياة ومأساتها وملهاتها، أو بعض منها، فيشجيه ويمتعه بما يريه وبالطريقة التي يريه بها ذلك.

● البعض ممن قرأ لك اعتبر أن روايتك تشبه خلاصة لروايتين سابقتين من حيث الأجواء والشخصيات؟

من هو هذا البعض؟ وأي روايتين؟ على العكس، ما نشرته جريدة الحياة مثلاً عن الرواية يقول إنها ذهبت لمنطقة أخرى

تماماً. على العموم هذا أمر متروك للقارئ والناقد.

● هل اكتمل مشروعك الروائي الآن، أين يقف عز الدين شكري فشير بعد جسر بروكلين؟

لا أقف بل أكتب. نفسي ممتلئة بأفكار وهواجس وأشباح صغيرة تحاول الخروج، وأريد لها الخروج، وأريد أن أجد الوقت كي أضعها على الورق، وسأفعل ذلك ما لم يحول بيني وبينه قوة القاهرة. الكتابة هي مشروع عي الإنساني: ما أريد أن أفعله بحياتي، وطريقتي في الحياة. لقد أخذتني دروب الحياة بعيداً عن الكتابة في أوقات، وخفت منها في أوقات أخرى، لكنني وجدتها ولن أفارقها قط.

● هناك الكثير من الرمزية في مصرع فتاة مصرية بمحطة أمريكية، وفي جزئيات أخرى، ألا ترى بأن قراءة الرواية إعلامياً كانت قاصرة؟

هل ماتت فعلاً في محطة القطار: أمأكد أنت؟ هذا السؤال هو الإجابة: هناك أكثر من قراءة لأحداث ولشخصيات الرواية. هذه الشخصيات تتحدث عن نفسها في معظم الوقت، سواء مباشرة أو بضمير الغائب. نحن نرى ما تری هذه الشخصيات ونسمع ونشعر ما تسمعه هي أو تشعر به، ولكن ليس في الرواية "راو عليم" يقول لنا إن كانت رؤية الشخصيات هي الحقيقة - كلها أو نصفها أو عشرها. وبالتالي على القارئ أن يفكر بنفسه، ومن هذا التفكير تتولد قراءات مختلفة لكل جوانب الرواية. بعض القراءات التي نشرت اقتصر على رؤية دون أخرى، وهذا أمر طبيعي.

● بعد أن اشتهرت كروائي، هل أصبحت عضواً كاملاً في المجالس الثقافية المصرية، أم ما تزال وافداً كما كنت في البداية؟

جئت غربياً وسأرحل غربياً. لست وافداً، بل صاحب البلد، لكنني لأحب المجالس، وأقلق من الإجماع، وأقدر العزلة وأحتاجها.

● ولد عز الدين شكري فشير في الكويت عام 1966 ونشأ في مصر، تخرج من جامعة القاهرة عام 1987 في العلوم السياسية، التحق بعدد من الجامعات الأجنبية في فرنسا وكندا ليدرس ويحصل على درجات أكاديمية متتالية. وكانت البداية بالدبلوم الدولي للإدارة العامة، المدرسة القومية للإدارة، باريس 1990-1992. تلى ذلك ماجستير العلاقات الدولية، جامعة أوتاوا، 1992-1995 رسالة الماجستير - المعونة "مفهوم الهيمنة العالمية وتحليل التعاون والإدارة الدوليين"، ودكتوراة العلوم السياسية من جامعة مونتريال، 1993-1998 عن رسالة بعنوان "الحداثة والحكم العالمي". عمل فشير دبلوماسياً بالخارجية المصرية وبمنظمة الأمم المتحدة وذلك حتى سنة 2007 أين غادر الدبلوماسية وتفرغ للكتابة والتدريس.